﴿٢﴾ ثم فخَّم شأنها وعظَّم مقدارها، فقال: ﴿وما أدراكَ ما ليلةُ القَدْرِ﴾؛ أي: فإنَّ شأنها جليلٌ، وخطرها عظيمٌ.

﴿٣﴾ ﴿ليلةُ القدرِ خيرٌ من ألفِ شهرٍ﴾؛ أي: تعادل من فضلها ألف شهرٍ، فالعمل الذي يقع فيها خيرٌ من العمل في ألف شهرٍ خاليةٍ منها، وهٰذا مما تتحيَّر فيه[١] الألباب، وتندهش له العقول؛ حيث منَّ [تبارك و] تعالى على هٰذه الأمَّة الضعيفة، القوَّة والقوى بليلةٍ يكون العمل فيها يقابل ويزيد على ألف شهر، عمر رجل معمَّرٍ عمراً طويلاً نيفاً وثمانين سنةً.

﴿٤﴾ ﴿تَنَزَّلُ الملائكةُ والرُّوحُ فيها﴾؛ أي: يكثر نزولهم فيها، ﴿من كلِّ أمرٍ﴾.

﴿٥﴾ ﴿سلامٌ هي﴾؛ أي: سالمةٌ من كل آفةٍ وشرٍّ، وذٰلك لكثرة خيرها، ﴿حتَّى مطلعِ الفجرِ﴾؛ أي: مبتداها من غروب الشمس ومنتهاها طلوع الفجر[٢]. وقد تواترت الأحاديث في فضلها[٣]، وأنَّها في رمضان، وفي العشر الأواخر منه، خصوصاً في أوتاره، وهي باقيةٌ في كلِّ سنةٍ إلى قيام الساعة، ولهٰذا كان النبيُّ ﷺ يعتكف ويكثرُ من التعبُّد في العشر الأواخر من رمضان رجاء ليلة القدر. والله أعلم.

❁ ❁ ❁

تفسير سورة لم يكن

وهي مدنية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴿١﴾[٤] رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴿٣﴾ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا

---

(١) في (ب): «به».

(٢) في (ب): «أي: تنتهي من غروب الشمس إلى طلوع الفجر».

(٣) انظر «صحيح البخاري» كتاب فضل ليلة القدر. و«صحيح مسلم» باب فضل ليلة القدر والحث على طلبها وبيان محلها وأرجى أوقات طلبها.

(٤) في (أ): طمس. وفي (ب) إلى آخر السورة.

الزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾.

﴿١﴾ يقول تعالى: ﴿لم يكنِ الذينَ كَفَروا من أهلِ الكتابِ﴾؛ أي: من اليهود والنصارى، ﴿والمشركين﴾: من سائر أصناف الأمم، ﴿مُنفَكِّينَ﴾: عن كفرهم وضلالهم الذي هم عليه؛ أي: لا يزالون في غيِّهم وضلالهم، لا يزيدهم مرور الأوقات[1] إلَّا كفراً، ﴿حتَّى تأتِيَهُم البيِّنةُ﴾: الواضحة والبرهان الساطع.

﴿٢ ـ ٣﴾ ثم فسَّر تلك البيِّنة، فقال: ﴿رسولٌ من اللهِ﴾؛ أي: أرسله الله يدعو الناس إلى الحقِّ، وأنزل عليه كتاباً يتلوه ليعلِّم الناس الحكمة ويزكِّيهم ويخرجَهم من الظُّلُمات إلى النُّور، ولهٰذا قال: ﴿يتلو صُحُفاً مطهَّرةً﴾؛ أي: محفوظةً من[2] قربان الشياطين، لا يمسُّها إلَّا المطهَّرون؛ لأنَّها أعلى[3] ما يكون من الكلام، ولهٰذا قال عنها: ﴿فيها﴾؛ أي: في تلك الصُّحف ﴿كتبٌ قيِّمةٌ﴾؛ أي: أخبارٌ صادقةٌ وأوامرُ عادلةٌ تهدي إلى الحقِّ وإلى طريقٍ مستقيم؛ فإذا جاءتهم هٰذه البيِّنة؛ فحينئذٍ يتبيَّن طالب الحقِّ ممَّن ليس له مقصدٌ في طلبه، فيهلكُ مَن هلك عن بيِّنة ويحيا من حيَّ عن بيِّنةٍ.

﴿٤﴾ وإذا لم يؤمن أهل الكتاب بهٰذا الرسول وينقادوا له؛ فليس ذٰلك ببدع من ضلالهم وعنادهم؛ فإنَّهم ما تفرَّقوا واختلفوا وصاروا أحزاباً ﴿إلَّا من بعدِ ما جاءتْهُمُ البيِّنَةُ﴾: التي توجب لأهلها الاجتماع والاتِّفاق، ولٰكنَّهم لرداءتهم ونذالتهم لم يزدهم الهدى إلا ضلالاً ولا البصيرة إلا عمىً.

﴿٥﴾ مع أنَّ الكتب كلَّها جاءت بأصل واحدٍ ودين واحدٍ؛ فما ﴿أُمِروا﴾ في سائر الشرائع، إلا أن يعبدوا ﴿اللهَ مخلصين له الدِّين﴾؛ أي: قاصدين بجميع عباداتهم الظَّاهرة والباطنة وجه الله وطلب الزُّلفى لديه، ﴿حنفاءَ﴾؛ أي: معرضين مائلين عن سائر الأديان المخالفة لدين التَّوحيد، وخصَّ الصلاة والزَّكاة بالذِّكر مع أنَّهما داخلان في قوله: ﴿ليعبدوا الله مخلصين له الدين﴾؛ لفضلهما وشرفهما

---

(١) في (ب): «السنين».

(٢) في (ب): «عن».

(٣) في (ب): «لأنها في أعلى».

وكونهما العبادتين اللتين مَن قام بهما قام بجميع شرائع الدين. ﴿وذٰلك﴾؛ أي: التَّوحيد والإخلاص في الدِّين هو ﴿دين القيّمة﴾؛ أي: الدين المستقيم الموصل إلى جنَّات النَّعيم، وما سواه فطرقٌ موصلةٌ إلى الجحيم.

﴿٦﴾ ثم ذكر جزاء الكافرين بعدما جاءتهم البيِّنة، فقال: ﴿إنَّ الذين كفروا من أهل الكتابِ والمشركينَ في نارِ جهنَّم﴾: قد أحاط بهم عذابها، واشتدَّ عليهم عقابها، ﴿خالدين فيها﴾: لا يُفَتَّر عنهم العذاب، وهم فيها مبلسون. ﴿أولٰئك هم شرُّ البريَّة﴾: لأنَّهم عرفوا الحقَّ، وتركوه، وخسروا الدُّنيا والآخرة.

﴿٧﴾ ﴿إنَّ الذين آمنوا وعملوا الصَّالحات أولٰئك هم خيرُ البريَّة﴾: لأنَّهم عبدوا الله وعرفوه، وفازوا بنعيم الدُّنيا والآخرة.

﴿٨﴾ ﴿جزاؤهم عند ربِّهم جناتُ عدنٍ﴾؛ أي: جناتُ إقامةٍ لا ظعن فيها ولا رحيل ولا طلب لغايةٍ فوقَها، ﴿تجري من تحتها الأنهارُ خالدين فيها أبداً رضيَ الله عنهم ورضوا عنه﴾: فرضي عنهم بما قاموا به من مراضيه، ورضوا عنه بما أعدَّ لهم من أنواع الكرامات [وجزيل المثوبات]. ﴿ذٰلك﴾: الجزاء الحسن ﴿لِمَنْ خشيَ ربَّه﴾؛ أي: لمن خاف الله فأحجم عن معاصيه، وقام بما أوجب عليه[1].

تمت. والحمد لله.

* * *

تفسير سورة إذا زلزلت

وهي مدنية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾[2] وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ الْإِنسَانُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾﴾.

﴿١ ـ ٢﴾ يخبر تعالى عمَّا يكون يوم القيامة، وأنَّ الأرض تتزلزل وترجف وترتجُّ

---

(١) في (ب): «وقام بواجباته».

(٢) في (أ): إلى آخرها. وفي (ب): ذكر الآيات إلى آخر السورة.